مجلة الرائد

العدد : ٢٤٣ الموافق في ربيع الأول ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/٥ ميلادي

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين –٤–	الكاتب : د. مأمون مبيض

بعد الانتهاء من تدريب مجموعة الهلال الأحمر الفلسطيني في رام الله غادرناها إلى القدس بعد ظهر الاثنين ١٣ رمضان ١٤٢٣- ٢٠٠٢/١١/١٨. وكم كان سروري عظيما أني سأرى من جديد الأقصى والقدس، ولم أكن أتوقع أن تسيل دموعي مجددا عند رؤية الأقصى الذي غبت عنه أربعة أيام فقط، فسألت نفسي عن حجم معاناة من حرم من رؤيته سنوات وهو من أهل القدس الشريف!!.

كنا قد دعينا إلى عشاء الإفطار في مستشفى المقاصد الإسلامية الخيرية في القدس ، وهو صرح هام يقدم الخدمات الصحية لأهل القدس وما حولها من المدن في الضفة عندما يستطيع الناس الوصول إليه .

تأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية عام ١٩٥٦، وهي جمعية خيرية غير ربحية وغير حكومية. وفي عام ١٩٦٤ بدأت الجمعية ببناء مستشفى المقاصد على جبل الزيتون المطل على القدس والمسجد الأقصى. وقد تم افتتاح المستشفى عام ١٩٨٦ كمستشفى صغير ولعدد محدود من الأسرّة. وتعتبر مستشفى المقاصد الآن من المستشفيات الأساسية للرعاة الطبية في القدس، وبعدد (٢٥٠) من الأسرّة ، و (٥٦٠) من الموظفين بمختلف التخصصات والمهارات .

وتعتبر مستشفى المقاصد المستشفى التعليمي الأساسية لكلية الطب في جامعة الأقصى في القدس، وهي معترف بها كمستشفى تدريبي بعد التخرج في عدد من التخصصات ،وهي: الطب الباطني، والجراحة العامة، وطب الأطفال، والأمراض النسائية، والتخدير. وفي المستشفى قسم للأشعة وقسم الإسعاف والطوارئ ومخبر متقدم وقسم للخدمات الاجتماعية. وفيها أيضا برنامج للتدريب التمريضي على مدار سنتين حيث يتدرب الجهاز التمريضي من أنحاء الأرض المقدسة .

وتقوم المستشفى أيضا بالتعليم والتدريب بالتعاون مع جامعة الأقصى في مجالات متعددة منها الكيمياء الحيوية والأمراض الوراثية والتقنيات المخبرية والإسعافات الأولية والمعالجة الطبيعية والسكرتارية الطبية. ويقوم أطباء مستشفى المقاصد ببعض الأبحاث والدراسات في المجالات السريرية والوراثية والتشريح المرضي وتشخيص السرطانات.

ويأتي الدخل المالي لتغطية نفقات المستشفى بشكل أساسي من تبرعات عدد من الدول والمؤسسات الخيرية في العالم، ومن خلال دخل المرضى الذين يدفعون نفقات المعالجة في المستشفى.

ولا يرد المستشفى من يطرق بابه طلبا للعلاج ولو لم يستطع تغطية نفقات علاجه.

وقد تعرفنا في مستشفى المقاصد على مجموعة طيبة من الأطباء الزملاء في مختلف التخصصات، والذين آثروا العمل هناك وخدمة الناس بالرغم من الصعوبات الكثيرة الناتجة عن الاحتلال الإسرائيلي. وإن الإنسان ليفخر بوجود هذه النوعية من الذين يعملون بصمت وهدوء للتخفيف من ألم الناس ومعاناتهم.

وكم كانت صلاة العشاء والتراويح في المسجد الأقصى مؤثرة حيث امتلئ المسجد بالمصلين، وامتلأت قبة الصخرة بالمصليات، ولم يختلف الجو كثيرا عند صلاة فجر اليوم التالي حيث ترى المصلين والمصليات يسيرون بعد الصلاة وعليهم السكينة في الحارات والطرق الحجرية القديمة للقدس الشرقية .

ركبنا الحافلة الصغيرة للصليب الأحمر الدولي متوجهين غربا وجنوبا نحو قطاع غزة. كان هناك جوّ من الترقب والقلق الخفيف بين أعضاء فريق التدريب النفسي وخاصة أننا سمعنا في اليوم السابق خبر القصف الإسرائيلي لبناء شرطة السلطة الفلسطينية وهو البناء المجاور للمكان الذي سننزل فيه في غزة. ومما خفف من جو الترقب والقلق وجود جوّ من المرح والتشجيع بين أعضاء الفريق الذي كان قد خبر العمل في ظروف مشابهة لأماكن مختلفة للصراعات والاقتتال.

كانت الرحلة إلى غزة مليئة بالمشاعر والذكريات التاريخية، حيث مررنا بموقع قرية دير ياسين الواقعة على بعد ٤ كم غرب القدس حيث وقعت المذبحة الشهيرة في ١٩٤٨/٤/٩ والتي ذهب ضحيتها ٤٥٠ شهيدا من الأطفال والنساء والشيوخ. وقد أقام الصهاينة على أنقاض القرية مستعمرة (جبعات شاؤول) والآن يقع مبنى الكنيس الإسرائيلي على أراضي القرية. ومررنا كذلك بقرية القسطل التي جرت فيها معركة القسطل الشهيرة، حيث استشهد البطل عبد القادر الحسيني بعد أن أرسل في ١٩٤٨/٤/٦ رسالة مختصرة جدا إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يقول فيها :

"إني أحملكم المسؤولية بعد أن تركتكم جنودي في أوج انتصاراتهم بدون عون أو سلاح ."

واستشهد عبد القادر في اليوم التالي، وبعد ٤٨ ساعة وقعت مذبحة دير ياسين. ومررنا كذلك بباب الوادي حيث جرت معركة كبيرة استبسل فيها الجنود العراقيون الذين أتوا للدفاع عن القدس

عنوان المقال : انطباعات زائر لفلسطين –٤–	الكاتب : د. مأمون مبيض

وفلسطين، وما تزال آثار بعض الآليات والدبابات قائمة تشهد بحجم هذه التضحيات. وقد كان يوجد غرب القدس أكثر من ٣٨ قرية فلسطينية .

إن الطريق من القدس جنوبا إلى غزة ليظهر غنى هذه البلاد وخصوبتها الزراعية حيث ترى المزارع والحقول الواسعة لأنواع كثيرة من الفواكه والمنتجات كالبرتقال واللوز والزيتون وغيرها .

كنت بين الحين والآخر أشعر بأني أنظر وأسير في أرض عربية يملكها أصحابها، ولم يكن يغيّر هذا الانطباع عندي سوى المرور ببعض المستوطنات الإسرائيلية، أو رؤية الكثير من المجندين والمجندات الإسرائيليين وكلهم من الشباب، إما جالسون أمام موقف الباصات أو يترجلون من السيارات العسكرية، وكل يحمل كيس حاجاته على ظهره.

كانت تدور في ذاكرتي المشاعر والذكريات، بعضها قديم والآخر حديث العهد، مشاعر رؤية مواقع دير ياسين والقسطل، وذكريات تاريخ فلسطين الطويل، وملامح وجوه المتدربين الذين تركتهم في اليوم السابق في رام الله، ووجوه من أعرف من الأهل والأصدقاء، وتلهف اختبار الحياة في غزة. وكان مما ساعدني على الجمع بين كل هذه المشاعر والذكريات بطريقة إيجابية متفائلة واثقة صوت الأستاذ عصام العطار حيث تمكنت من الحديث معه في ألمانيا على الهاتف الجوال ونحن في الحافلة متوجهين جنوبا. كنت أصف للأستاذ عصام ما أرى على الطريق فكان يقول كلمات تشعرني وكأنه كان معي في الحافلة يرى ما أرى بعين بصيرته ومعرفته الدقيقة بمشاهد وتاريخ تلك الأرض. ربما أراحتني هذه المكالمة الهاتفية كثيرا لأن للأستاذ عصام فضلاً كبيراً في تحبيبي بفلسطين، كما فعل مع الكثير من الناس من خلال كلماته عبر السنين، بل شعرت أن رحلة التدريب هذه لعلاج الصدمات النفسية عند أطفال فلسطين ثمرة من ثمرات توجيهاته حفظه الله .

مما تمتاز به أرض فلسطين أنك قد تسير مسافة قصيرة نسبياً إلا أنك تمرُّ على كثير من المواقع والمشاهد بشكل متتابع سريع ؛ فنحن لم تطل رحلتنا كثيراً فإذا بنا أمام المعبر الشديد الحراسة والذي سينقلنا إلى عالم آخر ، سينقلنا إلى قطاع غزة.

(الحلقة القادمة : داخل قطاع غزة)